رأي القدس: الاعتداء على الكنائس جريمة مدانة

■ لا نعرف مدى مصداقية البيان الذي نسب الى جماعة اسلامية في قطاع غزة وهددت فيه باستهداف اشقاء مسيحيين، اذا لم يعتذر البابا بنيديكت السادس عشر عن تصريحاته المسيئة للاسلام، ولكن الامر المؤكد ان مثل هذه الجماعة ترتكب اثما اكبر من اثم بابا روما باطلاقها مثل هذه التهديدات. ونشك في انتمائها الى عقيدة الاسلام والمسلمين.

الشعب الفلسطيني تميز دائما بترفعه عن كل اشكال الطائفية، وتمسكه بوحدته الوطنية، واحتضان اغلبيته لاشقائه المسيحيين وحمايتهم من اي مكروه، ولذلك تبدو مثل هذه التهديدات، وما سبقها من محاولات للاعتداء على كنائس في مدينة نابلس في الضفة الغربية، ممارسات غريبة عليه، وتتناقض كليا مع قيمه واخلاقياته.

البابا ارتكب خطيئة كبرى عندما تهجم على الدين الاسلامي ورسوله الكريم، ولكن علينا ان نتذكر انه مارس الشيء نفسه في حق طائفة مسيحية شرقية ايضا، شكك في صحة ايمانها، اي طائفة الارثوذكس، ومعظم ابناء قطاع غزة من المسيحيين ينتمون اليها، مثلهم مثل اشقائهم في الضفة الغربية.

الرد على اساءات البابا حق مشروع لا يختلف عليه اثنان، ولكن موضع الخلاف هو كيفية هذا الرد وطرق التعبير عن حالة الغضب الناجمة عن هذه الاساءات. الاعتداء على الكنائس وتهديد اتباعها بالصورة التي شاهدناها جريمة نكراء تعكس سلوكا غير حضاري بكل المقاييس، وتؤكد صفة الارهاب التي يحاول البعض، وعلى رأسهم بابا روما الصاقها بالاسلام والمسلمين.

المسيحيون العرب، والفلسطينيون منهم خاصة، كانوا دائما شركاء في حمل راية المقاومة في وجه الاستعمار الغربي، جنبا الى جنب مع اشقائهم المسلمين، وقدموا العديد من الشهداء، وربما يفيد التذكير بان الاشقاء المسيحيين كانوا يقفون في الخندق الاسلامي في مواجهة الحملات الصليبية في قرون الظلام الوسطى.

ان هذه الجماعات المتطرفة التي اصدرت مثل هذه التهديدات هي نتاج اوضاع فلسطينية متدهورة، بسبب احتدام حدة الصراع على سلطة وهمية بين قطبي الحياة السياسية الفلسطينية، اي حركتي «فتح» و«حماس»، وهو الصراع الذي ادى الى حالة الفلتان الامني الراهنة، وغياب الامن والاستقرار، خاصة في قطاع غزة.

عقلاء الشعب الفلسطيني وقياداته الشعبية يجب ان يتحركوا بسرعة لتطويق هذه الظاهرة الغريبة والقضاء عليها في مهدها من خلال توعية العناصر المتطرفة بخطورة المنزلقات التي يجرون الشعب الفلسطيني الى هاويتها اولا، وتوعية هذا الشعب بالآثار السلبية لهذه الافعال على قضيته ونضاله الوطني وصورته في العالم كشعب صاحب حقوق مشروعة في العودة واقامة دولته المستقلة.

ان ادانة مثل هذه الجماعات وتهديداتها للاشقاء المسيحيين بجرم لم يرتكبوه، ولافعال بابا ينضح عنصرية اساء الى الديانة المسيحية وقيمها في التسامح والتعايش، قبل ان يسيء الى الاسلام، واجب وطني على كل عربي ومسلم. ونحن في هذه الصحيفة لن نتردد في ان نكون على رأس من يرفضون هذه التوجهات الخطيرة ويدينونها، مع التأكيد في الوقت نفسه على احترامنا وتقديرنا لابناء الطائفة المسيحية ونضالهم الوطني من اجل قضيتهم العادلة.

مسعود بارزاني: سيرة صاخبة بالرياء والانتهازية

هارون محمد *

■ عندما يقول مسعود بارزاني انه أنزل العلم العراقي في المنطقة الكردية لأنه علم صدام حسين، وجرت تحته حملات الانفال والعمليات العسكرية التي شهدتها المنطقة في العقود الاربعه المنصرمة، فانه غير صادق مع نفسه على الأقل، وهو الذي أحتضن هذا العلم وقبله وشمه في الحادي والثلاثين من آب (اغسطس) 1996، عندما استنجد بالجيش العراقي لتخليص مدينة اربيل من بيش ميركه جلال طالباني والايرانيين، حسب رسالته الى صدام حسين في الثاني والعشرين من الشهر نفسه، وفيها يقول (ان اربيل اصبحت تحت سيطرة الايرانيين الذين يستعدون مع طالباني لتصفيتي واناشدكم نجدتي)، ولمزيد من التفاصيل يمكن الإطلاع على كتاب طارق عزيز (رجل وقضية) الذي صدر عام 2000 صفحات 160ـ163 وكانت علاقات ابن البارزاني مع صدام والقيادة العراقية يومها (دهن ودبس) كما يقول المثل الشعبي العراقي للدلالة على متانة تلك العلاقات وزخمها.

ولعل كثيرا من العراقيين، وخصوصاً الأكراد منهم يعرفون جيداً انه لولا صدام حسين وحمايته لمسعود بارزاني، لانتهى الاخير سياسياً في ذلك العام، وربما كان كلام جلال طالباني صحيحاً عندما قال بعد عودته الى السليمانية من ايران التي هرب اليها عقب (واقعة اربيل) ان مسعود واخوانه واولاد عمومته وابناء عشيرته وقادة حزبه كانوا يستعدون لمغادرة قرية صلاح الدين ومنتجع سره رش وقصبتي بارزان وميركه سور الى تركيا، وانهم حصلوا على أذن مسبق من السلطات التركية للسماح لهم بالعبور الى أراضيها لولا تدخل صدام.

ومن تابع أنباء تلك الفترة وخاصة قبل تخليص اربيل من طالباني وتسليمها في واحدة من حماقات النظام السابق الى غريمه اللدود بارزاني، لتوقف عند تلك التعليقات الساخرة التي كان يطلقها جلال على مسعود، ومنها ان بارزاني لن يقدر على رؤية اربيل حتى في الحلم، وقوله ان مسعود سيموت وفي قلبه حسرة لأنه لن يرى اربيل، وكثيرة هي النكات وبعضها غير صالح للنشر، لما فيها من الفاظ وعبارات تخدش الذوق والسمع.

ومن يستعرض سيرة مسعود منذ ظهور اسمه على الساحة السياسية في اوائل الستينات من القرن الماضي مرافقاً لابيه ملا مصطفى ومسؤولاً عن جهاز (بارستن) المخابراتي، مروراً بعضوية المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني، وانتهاء برئاسته له خلال المؤتمر التاسع للحزب الذي عقد اجتماعاته في قرية (زيوه ميركه) الايرانية في تشرين الثاني (نوفمبر) 1979، يلحظ ببساطة انه رجل نزق وانتهازي ومتقلب ولا يثق بأحد ومحب للمال، ويتردد في الاوساط السياسية الكردية انه أوعز الى اثنين من اتباعه كريم سنجاري وجوهر نامق بتصفية الشيخ محمد هرسين احد رفاق البارزاني الاب وعضو اللجنة المركزية للحزب في أحد أوكار مدينة (نقده) الايرانية، لان هرسين سلم ما بذمته من أموال للحزب الى ملا مصطفى والد مسعود، وكانت تساوي اكثر من مليوني دينار عراقي، وكان هذا المبلغ في عام 1979 يساوي اكثر من ستة ملايين دولار، الامر الذي افزع عدداً من ابناء ملا مصطفى، وفي مقدمتهم صابر بارزاني الذي عاد الى بغداد مع اولاده واسرته، وكذلك قادة الحزب من امثال رشيد سندي وعبدالوهاب الاتروشي هرباً من بطش مسعود واخيه ادريس.

وعندما كشف الحاكم الامريكي السابق السفير بول برايمر في كتابه (عامي في العراق) عن تردد مسعود في قبول عضوية مجلس الحكم الانتقالي لان بغداد اختيرت مقراً للمجلس، وانه يكره بغداد حتى الموت، فان كثيراً من السياسيين والصحافيين العراقيين ضحكوا من هذه الكراهية التي كان يخفيها (تقية) مثل أقرانه ورفاقه ممن جاء بهم الاحتلال الامريكي من لندن وواشنطن وطهران ودمشق، والا كيف نفسر حديثه الى صحيفة «السفير» اللبنانية في الثاني من آب (اغسطس) 1994، وفيها يقول بالنص: «ان حنيني الى بغداد عال جداً.. ولحد الآن فان المدينة المفضلة عندي في العالم هي بغداد.. واذا كان لي الخيار لاعيش في مدينة، فاني سأختار بغداد، لانني ترعرعت في بغداد، ودرست في بغداد، وعشت في بغداد، لذلك فان علاقتي ببغداد علاقة خاصة)! ولاحظوا تاريخ النشر جيداً، والى ماذا يرمز؟ وتذكروا ان صدام حسين كان موجوداً، واللبيب من الاشارة يفهم.

واذا كان غريم بارزاني الابن ذلك (الكردي التائه) كما أسماه زميلنا الاستاذ طلال سلمان في احدى مقالاته في منتصف التسعينات، متقلباً هوائيا، يصير ناصرياً اكثر من عبدالناصر، ويصبح بعثياً ويزايد على ميشيل عفلق، ويتحول الى ايراني فارسي اكثر من البهلوي والخميني، ويكون صهيونياً اكثر من شيمون بيريز، فان مسعود يتفوق عليه في الانتهازية والتقلبات السياسية، ولكن بالتقسيط، وعلى دفعات، وليس كما يفعل رفيقه اللدود.

مسعود بارزاني زار بغداد منذ عام 1992 حتى عام 2002 عدة مرات، وكل هذه الزيارات موثقة وخصوصاً لقاءاته مع صدام حسين وعزة الدوري وطارق عزيز، وكذلك زيارات ابن اخيه وزوج ابنته نيجرفان الذي يرأس الان الحكومة المحلية في اربيل، ويقول طارق عزيز ان مسعود جاء الى بغداد في كانون الثاني (يناير) 1992 في زيارة غير معلنة وقابل صدام حسين وروى له الاسباب التي ادت بالجبهة الكردستانية كما كانت تسمى في ذلك الوقت الى رفض التصديق على الاتفاقية الكردية الحكومية، التي تم التوصل اليها في نهاية آب (اغسطس) من العام 1991، ومما قاله (لما عدت الى هناك ومعي الاتفاقية عرضتها عليهم ـ يقصد قادة حزب الجبهة ـ فوقف جلال طالباني قائلا: لا لن نوقع عليها، فتساءلت والحديث لمسعود، كيف لا توقعون وانتم خولتموني بالتفاوض مع الحكومة العراقية نيابة عنكم؟ ردوا لا نوقع الا بعد ان نسأل واشنطن، وبالفعل أصر جلال على الذهاب الى العاصمة الامريكية، وهناك قالوا له لا توقعوا.

وانتهازية مسعود بارزاني لم يلعبها مع الحكومة العراقية فقط، وانما مارسها مع تركيا وايران وامريكا، وكذلك مع احزاب المعارضة السابقة، وهو مستعد كما ينقل عنه للتعاون مع ابليس اذا كان هذا التعاون مثمراً له وينسب اليه انه يردد دائماً كلاماً لابيه ملا مصطفى عندما ذهب اليه وفد من رجال الدين الاكراد في عام 1972 وعاتبوه بعد ان شاهدوا اناساً غرباء يتنقلون بين كلالة وحاجي عمران ورانية وقلعه دزة وبارزان وراوندوز تبين انهم اسرائيليون، فقال البارزاني الاب للوفد (انا مثل أعمى يريد عبور شارع يضج بحركة السيارات وجاء شخص وقادني الى الرصيف الاخر.. هل اسأله من أنت؟).

مسعود نفسه توسل بالاتراك ليقوموا بحملة عسكرية في اذار (مارس) 1995 لاجتياح شمال العراق ومحاصرة قوات طالباني في اربيل، وفعلاً بدأت عملية تركية عسكرية واسعة سميت (فولاذ) شارك فيها 35 الف جندي ومئات الدبابات واخترقت الاراضي العراقية بعمق 22 كيلومترا، ولولا تدخلات النظام السابق الذي ربطته علاقات وثيقة مع تركيا لكانت القوات التركية قد احتلت اربيل، وكانت رسالة بغداد الى انقرة التي نقلها حامد يوسف حمادي وزير الثقافة في حينه الذي توجه الى تركيا عبر شمال العراق وسط حفاوة قادة حزب بارزاني ذهاباً واياباً (ادعموا مسعود ولكن احتلال المدن خط احمر) والتزم الاتراك بالنصيحة والتحذير.

واذا كان لصدام حسين من فضل على أحد، فان مسعود بارزاني يأتي في المقدمة، فلولا صدام لكان مسعود اليوم يقيم في عاصمة اوروبية أو مدينة امريكية يدير شركات استثمارية بعيداً عن اربيل وصلاح الدين ودهوك، والوثائق الرسمية في بغداد تشير الى ان النظام السابق زود مسعود في عام 1995 وحده بكميات ضخمة من الاسلحة من ضمنها اربعون مدرعة ودبابة وتوالت اجتماعات نيجرفان بارزاني مع قصي صدام في غابات الموصل، واستمرت زيارات آزاد برواري عضو المكتب السياسي الى بغداد، وعقدت عشرات الجلسات بين مسؤول جهاز (باراستن) كريم سنجاري مع مديري جهاز المخابرات رافع دحام الناصري قبل وفاته، وجليل طاهر الحبوش، حتى وصل الامر برئيس دائرة شمال الخليج في وزارة الخارجية الامريكية روبرت دويج ان يوجه رسالة الى مسعود يدعوه الى وقف علاقاته مع بغداد، ويرد عليها الاخير نحن جزء من العراق ولابد لنا من التعامل مع حكومته المركزية.

ان الزمان الذي اصبح فيه مسعود بارزاني يقول بملء فمه اني اكره بغداد، ويعمد الى انزال العلم العراقي الشرعي والرسمي والمركزي، ويمنع رفعه في المنطقة الكردية، ويصفه بانه علم صدام، هو بالتأكيد زمان أغبر في كل المقاييس، وينطبق عليه المثل الشعبي العراقي الدارج (زمان اللي شيخ العكروك على الرك) والعكروك في اللهجة الشعبية تعني الضفادع، والرك ومفردها (ركة) تعني السلحفاة.. والمعنى واضح.

تبقى مسألة أخرى لابد من تفنيدها في تصريحات مسعود وتبريراته بانزال العلم العراقي الشرعي ورفع علم عبدالكريم قاسم بدلاً عنه حسب ادعائه، في محاولة يائسة لاعطاء انطباع بانه من انصار الزعيم الراحل، دون ان يدرك ان الذاكرة العراقية ما تزال تحتفظ بسجل اسود من الجرائم التي ارتكبها البارزانيون في قتل الآلاف من الجنود وافراد الشرطة وموظفي الزراعة ومساحي الاراضي في عهد عبدالكريم قاسم الذي سمح بعودة والد مسعود من منفاه في الاتحاد السوفييتي السابق مع سبعمئة وخمسين من اتباعه، وخصص له راتباً شهرياً قدره (500) دينار، بينما كان راتب الزعيم الشهري 180 ديناراً، وأسكنه في قصر صباح نوري السعيد في حي الصالحية وكان أرقى أحياء العاصمة، فيما كان المرحوم عبدالكريم يسكن داراً مؤجرة في حي البتاويين تابعة لدائرة الاموال المجمدة، ولم يكتف البارزانيون بمقاتلة عبدالكريم قاسم بل انهم تآمروا عليه ايضاً، ونسقوا مع البعثيين في شباط (فبراير) 1963 للانقلاب عليه والاطاحة به، واقرأوا برقية التهنئة التي ارسلها ملا مصطفى والد مسعود ووقعها نيابة عنه مساعده المرحوم صالح اليوسفي واللواء فؤاد عارف، الى القيادة البعثية الجديدة، ومطلعها (ان ضربات الشعب الكردي تلاحمت مع الثورة المجيدة على العدو اللدود للقوميتين العربية والكردية وبقية الشعب العراقي، الجلاد الاوحد لشعبنا الكردي المسالم وعلى اوكار الخيانة الملطخة بعار ودماء شهداء الشعب وقواته المسلحة).

علماً بان مسعود كان في ذلك الوقت حسب اعترافه في كتاب (البارزاني والحركة الكردية) الجزء الثالث، سكرتيراً لابيه ومسؤولاً عن مراسلاته. وبعد ذلك يطلع علينا ابن بارزاني ويقول انه رفع علم عبدالكريم الذي سموه بالعدو اللدود والجلاد الأوحد.. وكأن الناس لا تعرف ولا تعلم.

واخيراً.. هل هي مصادفة ان كل من أعان البارزانيين من العراقيين وقدم لهم الدعم والمساعدة، انقلبوا عليه ونالوا منه، بينما يصمتون صمت القبور عن اولئك الذين تلاعبوا بهم من الاجانب، سواء كانوا سوفييت أو ايرانيين أو اسرائيليين أو أمريكان؟ أم ان الخيانة للعراق والعمالة للاعدائه تسري في عروقهم أباً عن جد!

* كاتب سياسي عراقي يقيم في لندن

تزييف الحقائق لشن الحروب: العراق وايران مثالا

د. سعيد الشهابي *

■ عندما تصدت الولايات المتحدة الامريكية العام الماضي للسيد محمد البرادعي، رئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وحاولت منع إعادة ترشيحه للمنصب، لم تكن أسباب ذلك واضحة تماما، وان كانت ثمة مؤشرات تؤكد عدم ارتياح واشنطن من سياساته ومواقفه. ولكن بعد صدور اتهام من احد اعضاء مجلس الوكالة الاسبوع الماضي لواشنطن بمحاولتها تزوير الحقائق في ما يتعلق بالمشروع النووي الايراني، اتضحت ابعاد الصراع المتواصل بين سياسات المنظمات الدولية المتصلة بالامم المتحدة، ومواقف الولايات المتحدة وأهدافها على الصعيد العالمي.

التزوير الامريكي الأخير جاء في تقرير أصدرته لجنة الاستخبارات بمجلس النواب الامريكي قالت فيه ان ايران تقوم بصناعة اليورانيوم المخصب من العيار المناسب لتصنيع السلاح النووي، بأحد المواقع التجريبية. المسؤول بمجلس الوكالة، فيلموس كزرفيني، كتب رسالة الى بيتر هوكسترا، رئيس لجنة الاستخبارات بمجلس النواب الامريكي، يقول فيها ان ايران تقوم بتصنيع كميات قليلة ذات معايير أقل كثيرا مما يصلح لصناعة السلاح النووي، واصفا التقرير بانه «وقح وغير شريف». واشارت الرسالة الى ان التقرير أخطأ أيضا بقوله ان السيد محمد البرادعي، رئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرية، قام بتنحية مراقب رفيع المستوى عن الفريق المكلف بالبحث في المشروع النووي الايراني بدعوى انه «توصل الى استنتاج بان اهداف المشروع النووي الايراني هو صناعة السلاح» وجاء في الرسالة ان تنحية المفتش المذكور جاء بناء على طلب من الجمهورية الاسلامية وهو حق من حقوقها وفقا للمعايير المطبقة على جميع الدول التي تحكم تعاملها مع الوكالة.

وأضافت الرسالة ان التقرير «احتوى اشارة وقحة وغير شريفة» الى ان هذه التنحية ربما كانت بسبب عدم التزام المراقب بسياسة غير معلنة للوكالة تمنع مسؤوليها من اظهار الحقيقة الكاملة حول المشروع النووي الايراني». الرسالة المذكورة التي نشرت في صحيفة «الواشنطن بوست» تعتبر وثيقة دامغة تؤكد الاساليب الشريرة التي تنتهجها الولايات المتحدة في تعاطيها مع شؤون العالم. وأعادت الى الاذهان المواجهات الكلامية بين واشنطن والوكالة الدولية للطاقة الذرية حول ما اذا كان صدام حسين يسعى لصناعة اسلحة دمار شامل من بينها الاسلحة النووية. وكانت الولايات المتحدة قد استعملت هذه المقولة كذريعة اساسية للحرب التي شنتها ضد العراق في 2003. وفي العام الماضي سعت واشنطن لافشال محاولة البرادعي لاعادة ترشحه لمنصبه، ولكنها لم تنجح.

الصلافة الامريكية في التعاطي مع قضايا الحرب والسلام في العالم لا حدود لها. فبعد أكثر من ثلاثة أعوام على الحرب على العراق، بدأ المسؤولون الامريكيون الكبار الذين وضعوا استراتيجية تلك الحرب، يكشفون النوايا الحقيقية وراء تلك الحرب. فها هو ديك تشيني، نائب الرئيس الامريكي، يصرح علنا في الذكرى الخامسة للعمليات الارهابية التي استهدفت مبنى التجارة العالمي، بان الحرب ضد العراق كانت ستتم سواء كان صدام حسين يمتلك اسلحة دمار شامل ام لم يمتلكها.

وكانت الادارة الامريكية قد سعت لتبرير تلك الحرب بالقول بان العراق يسعى لتكديس اسلحة دمار شامل، كيماوية وبيولوجية ونووية. ولكن التحقيقات اللاحقة أكدت ان العراق لم يمتلك ايا من تلك الا سلحة. واعترف تشيني على شاشة تلفزيون «ان بي سي» الامريكية بان «من الواضح ان المعلومات الا ستخباراتية التي ادعت ذلك كانت خاطئة». وأجاب بالايجاب لدى سؤاله عما اذا كانت الولايات المتحدة ستقوم بالحرب لو ان سي آي أيه قالت ان صدام لم يمتلك تلك الاسلحة. عقلية الاحتراب هذه هي التي تدفع للاعتقاد بان العالم أصبح أقل أمنا في السنوات الاخيرة بسبب سياسات واشنطن.

وقالت استطلاعات للرأي العام الامريكي ان غالبية الامريكيين يعتقدون بذلك، وان اكثر من ستين بالمائة منهم يعتقدون ان الحرب ضد العراق كانت خاطئة، وان شعبية الرئيس بوش لا تتجاوز 40 بالمائة. هذه الحقائق تؤكد ان وقوف الشعب الامريكي مع الحرب كان ناجما عن عدد من الامور: اولها الشعور بالمرارة بعد حوادث 11 سبتمبر، ثانيها ثقته بتصريحات المسؤولين الكبار حول امتلاك العراق اسلحة دمار شامل، ثالثها التغير في النفسية الامريكية تجاه العالم، وتعمق الشعور بان العالم هو الذي يحارب امريكا وليس العكس. الآن وبعد اكثر من ثلاثة اعوام انكشفت الحقائق امام الامريكيين، وان كانت تلك الحقائق معروفة لدى غيرهم. فمسؤولو فرق التفتيش التابعة للامم المتحدة التي كانت تقوم بتفتيش المنشآت العراقية كانت تعلم الحقيقة، وتصرح بها كما فعل هانز بليكس الذي ما يزال يتحدث بمرارة عن معاناته مع تزوير الحقائق من الجانب الامريكي. بليكس كان مسؤولا عن تفتيش مفاعل «اوسيراك» النووي العراقي قبل تدميره في 1981 من قبل الاسرائيليين، وكان رئيسا للوكالة الدولية للطاقة الذرية حتى 1997، وأكد بليكس في مقابلات عديدة رفضه مقولة امتلاك العراق اسلحة دمار شامل، وفي مقابلة مع صحيفة «الغارديان» بعد حرب العراق، لم يخف امتعاضه ازاء ما يتعرض له من تشويه على ألسنة المسؤولين في واشنطن بسبب مواقفه التي أزعجتهم كثيرا. تلك المواقف والسياسات ساهمت، مع غيرها، في حرمان الولايات المتحدة من الغطاء الدولي للحرب ضد العراق، فشنت الحرب بقرار احادي لم تشاركها فيه سوى الحكومة البريطانية. وكما ان الشعب الامريكي اصبح يشكك في مصداقية رئيسه، فقد اصبح رئيس الوزراء البريطاني، هو الآخر، ضحية لتلك الحرب بعد ان انقلب الرأي العام ضده. البريطانيون اليوم يعتقدون ان سياسات بلير المسايرة للسياسات الامريكية جعلت بريطانيا هدفا للارهاب، بدلا من القضاء عليه. وتصاعدت الاصوات المطالبة بالابتعاد التدريجي عن واشنطن والاقتراب نحو اوروبا. حتى ان ديفيد كاميرون، رئيس حزب المحافظين، أصبح ينتقد علنا السياسة الخارجية الامريكية في الشرق الاوسط، في محاولة للنأي عن تلك السياسات التي اصبح هناك ما يشبه الاجماع على انها أدت الى تصاعد ظاهرة الارهاب بدلا من القضاء عليها.

الصراع بين الولايات المتحدة والتشكيلات الدولية وعلى رأسها الامم المتحدة ولجانها المتفرعة، ليس جديدا، وكذلك سياسات التضليل الامريكية حول القضايا المهمة التي تهم العالم. فمع ان قضية العراق لم تنته بعد، خصوصا مع تحولها الى محرقة خطيرة وبؤرة لتفريخ الارهاب والتطرف، فان واشنطن تواصل استعداداتها لمنازلات سياسية، ربما عسكرية ضد ايران، الامر الذي ستكون له تبعات قد تفوق ما حدث في العراق. الواضح ان العالم ليس لديه رغبة في حرب أخرى ضد ايران او غيرها، خصوصا بعد حرب لبنان التي كشفت مدى ما يمكن ان يذهب اليه اصحاب القوة العسكرية من تدمير عبثي لا يمكن وصفه سوى بالارهاب. في قضية لبنان، وقف العالم كله ضد العدوان الاسرائيلي، الا امريكا وبريطانيا اللتين وفرتا للعدوان الغطاء السياسي والدعم المادي. فبينما فتحت السلطات البريطانية تحقيقا موسعا لمعرفة أسباب حصول مقاتلي حزب الله على جهاز للرؤية الليلية من صنع بريطاني، فانها فتحت مطاراتها لعبور طائرات النقل الامريكية التي حملت القنابل والصواريخ الكبيرة لكي تستعملها قوات العدوان الاسرائيلي ضد الابرياء في لبنان. مع ذلك فشل العدوان، ومعه داعموه في واشنطن ولندن. وليس معلوما بعد ما ستؤول اليه المسألة النووية الايرانية في ضوء الاصرار الانغلو ـ أمريكي على مواجهته وابقائه على طاولة النقاش الدولي. العالم لم يعد قادرا على تحمل الاعباء النفسية والاخلاقية لأية حرب في الشرق الاوسط. فزعماء مجموعة الدول الخمس عشرة النامية من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية الذين اجتمعوا الاسبوع الماضي في العاصمة الكوبية أعربوا بصراحة عن تضامنهم مع ايران التي استلمت رئاسة المجموعة من الجزائر. اجواء الاجتماع الذي عقد على هامش اجتماع منظمة دول عدم الانحياز كان مفعما بالخطابات الحماسية من الزعماء خصوصا هوغو تشافير. رئيس فنزويلا، الذي عبر عن تضامنه مع ايران واستعداده للدفاع عنها وعن كوبا في حال تعرض اي منهما لأي عدوان امريكي.

ثمة امور تجدر الاشارة اليها لإكمال الصورة حول المشروع النووي الايراني. اولها ان المشروع النووي الايراني تأسس بدعم امريكي وتعاون ألماني وفرنسي مباشر. ففي 1975 مثلا، اي بعد عشرين عاما على تأسيس المشروع، وقع وزير الخارجية الامريكي آنذاك، هنري كيسنجر، المذكرة رقم 292 القائمة على اساس قرار مرتبط بالامن القومي الامريكي بعنوان «التعاون النووي الامريكي الايراني» التي تطرقت لبيع اجهزة الطاقة النووية الى ايران على اساس انها ستعود بأكثر من ستة مليارات دولار على الشركات الامريكية. كانت ايران يومذاك تنتج حوالي ستة ملايين برميل، مقارنة بأربعة ملايين في الوقت الحاضر. وكان سكان ايران حينها أقل من ثلاثين مليونا، مقارنة بأكثر من ستين مليونا الآن. وحتى 1977 كان اشخاص مثل ديك تشيني ودونالد رامسفلد وبول وولفويتز، المعارضون حاليا للمشروع النووي الايراني، معنيين بشكل عميق بترويج المشروع النووي الايراني القادر على استخلاص البلوتونيوم من وقود المفاعلات النووية للاستعمال في صناعة السلاح. كان نظام الشاه يومها حليفا للولايات المتحدة الامريكية، وعلى علاقات مع «اسرائيل». وفي 1976 وقع الرئيس جيرالد فورد امرا بمنح ايران فرصة شراء وتشغيل منشأة امريكية الصنع لاستخلاص البلوتونيوم من وقود المفاعلات الذرية. تلك الصفقة كانت ستوفر دورة وقود نووي كاملة. وبرر الرئيس فورد الصفقة بقوله: ان استعمال الطاقة النووية سوف يوفر ما يحتاجه الاقتصاد الايراني المتنامي من طاقة ويوفر المخزون النفطي الباقي للتصدير او التحويل الى مواد بتروكيماوية.

ثانيها ان ايران وقعت في العام 1968 معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية»، ثم صادقت عليها في 1970، وما تزال ملتزمة بها، وتصر على ان مشروعها النووي انما هو لاهداف سلمية، وان الموقف الامريكي منطلق على اساس الشكوك وليس الحقائق. ويمثل هذا الموقف أكبر عائق امام السعي الامريكي لمحاصرة ايران، وذلك لعدم توفر الادلة على غير ذلك. اما الاصرار الايراني على امتلاك التكنولوجيا الكاملة لدورة الوقود النووي بما في ذلك تخصيب اليورانيوم، فهو حق تضمنه معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية (ان بي تي). ثالثها ان الموقف الامريكي يواجه ضعفا سياسيا على الصعيد الدولي وذلك بسبب صمته الكامل ازاء «اسرائيل» التي تمتلك اسلحة نووية خارج اي اطار قانوني دولي، والتي ترفض التوقيع على ان بي تي. وثمة مطالبات متواصلة باخلاء منطقة الشرق الاوسط من اسلحة الدمار الشامل، بما في ذلك الاسلحة النووية، وهنا يشار الى الترسانة النووية الاسرائيلية، وليس الايرانية التي لم يثبت امتلاكها سلاحا نوويا، وان أكثر التقارير تشاؤما يشير الى ان ايران تحتاج الى بضع سنوات قبل ان تستطيع انتاج سلاح نووي. رابعها ان تعليق ايران مشروع تخصيب اليورانيوم العام الماضي كان طواعية ولا تفرضه عليها التزاماتها الدولية، وبالتالي فالعودة الى التخصيب لا يعتبر إخلالا بتلك الالتزامات، خامسها ان اقحام مجلس الامن الدولي في القضية أمر سياسي يهدف لاحداث التوتر والبلبلة، ويزيد القضية تعقيدا بدلا من حلها. وسوف يزداد الوضع توترا عندما تواصل واشنطن سياسة التضليل، ليس مع ايران فحسب، بل حتى مع الوكالة الدولية للطاقة، خصوصا بعد امتلكت المنظمة الشجاعة الكافية لتكذيب التقرير الامريكي المذكور الذي يحتوي الاكاذيب والتلفيقات.

* كاتب وصحافي بحريني يقيم في لندن

من انتصر ومن انهزم؟

محمد كريشان

■ من انتصر ومن انهزم في الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان: سؤال ما زال مطروحا على الباحثين والسياسيين على حد سواء بعد كل هذه الأسابيع. هو انتصار لا غبار عليه تراه كل لحسابها جهات في أوساط كل من إسرائيل وحزب الله، بل هي هزيمة إسرائيلية نكراء تحتاج محاسبة وفق جهات إسرائيلية عدة مقابل تقييم معاكس شبيه يعتبر ما جرى كارثة للبنان لا بد من جرد حسابات سياسية لها. هو انتصار بنكهة الهزيمة يراه إسرائيليون كثر وهي هزيمة بنكهة الانتصار يقدر قطاع هام من الشعب اللبناني. مثل هذه التقويمات تبدو حقا وواجبا للجميع شريطة ألا يصادر أحد حق الآخر في التقدير لاسيما أن أغلب المتاح حاليا في ساحتنا العربية صيغ بأحكام مسبقة عند هذا الطرف أو ذاك فأنصار المقاومة في لبنان وخارجه لم يروا فيما جرى سوى الصمود والنصر فيما لم ير المعارضون لهذه المقاومة في لبنان وخارجه أيضا في الأمر كله سوى الخراب والخسران فكما قيل قديما «وعين الرضا عن كل عيب كليلة لكن عين السخط تبدي المساويا».

قد يكون من حق السياسيين أن يروا الأمور، عن صدق أو بمنطق المناكفات مع الخصوم، إما أبيض أو أسود لكن الأشياء يفترض ألا تكون بهذه الحدية الصارمة في أوساط الكتاب والباحثين حيث المجال أوسع للتضاريس والنسبية في المواقف مع الحرص الشديد على الدقة وإلا تحول هؤلاء إما إلى تدبيج مقالات الهتاف أو الردح وكلاهما معيب خاصة إذا كان كلا الموقفين غير منزه عن المصالح والاستلزام ما ظهر منه وما خفي. ولهذا فقد يكون من المؤسف أننا لم نشهد إلى حد الآن منتدى فكريا عربيا أو مركز دراسات محترما يسارع إلى عقد ندوة تطرح سؤال النصر والهزيمة هذا بأقصى قدر من البعد عن الانفعالية أو تصفية الحسابات في حين سارعت مثلا جهات أمريكية إلى ذلك من قبيل الندوتين اللتين نظمهما مؤخرا كل من مركز الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جورج تاون ومعهد بروكينغز وهي نوعية من المناسبات تسمح ببروز ذاك النوع من التقدير الذي يحاول قدر الإمكان قراءة كل جوانب المشهد بعد الحرب من قبيل مثلا ما قاله في إحداها مايكل هادسون أستاذ العلوم السياسية بجامعة جورج تاون ومؤلف كتاب «التحديث السياسي في لبنان» حين ذكر أن «بالرغم من ضياع بعض موارد حزب الله العسكرية في هذه الحرب فمن الواضح حتى الآن أنه خرج منها فائزا كبيرا وأنه انتصر عسكريا وسياسيا داخل لبنان وخارجه(...) فيما يعد الشعب اللبناني من أكبر الخاسرين بالنظر إلى حجم الدمار الذي أصاب البنية التحتية والتي تقدر تكلفة إعادة بنائها بخمسة مليار دولار، إضافة إلى أكثر من ألف قتيل وآلاف اللاجئين(..) أما إسرائيل فقد عانت من خسارة أخلاقية كبرى لأنها أظهرت درجة عالية من العنف في أدائها العسكري (كما) أن فشل القوات الإسرائيلية في تدمير أو تقييد حزب الله يمثل هزيمة كبيرة لإسرائيل مما يقوي من شعور الشعب الإسرائيلي بالضعف داخل بلاده».

بالطبع هذا النوع من الندوات يتيح المجال أيضا لمن لا يرى الأمور بهذا الحرص على التوازن والنزاهة الفكرية لكن المحصلة أن أجواء النقاش من شأنه أن تسهل إلى حد بعيد على أصحاب القرار أن يكون لهم تقدير موقف هو أقرب ما يكون إلى الصحة، وهذا ما نفتقده الآن للأسف ليس فقط بحثيا وأكاديميا بل وصحافيا كذلك خاصة عندما نرى ذلك النوع من الكتابات التي تمجد انتصار حزب الله دون التفات كبير للتكلفة اللبنانية البشرية والعمرانية لهكذا انتصار أو عكسها من الكتابات ممن تبالغ في اللطم فيمنعها ذلك من رؤية شيء آخر حتى ولو كان نزرا قليلا مما تكتبه الصحافة الإسرائيلية المعنة هذه الأيام في محاسبة المسؤولين السياسيين والعسكريين بصرامة غير عادية.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان
رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN